الفصل الثاني

لمحات عن عولمة الإعلام والثقافة

تهدف عولمة الإعلام إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام على تجاوز الحدود بين الدول ، والتأثير في المتلقين الذين ينتمون إلى ثقافات متباينة ، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية ، وتحقيق مكاسب للأطراف المهيمنة على صناعة الإعلام والاتصال من ناحية ثانية .

وينطوي مفهوم عولمة الإعلام على مجموعة من الأبعاد والمكونات الأساسية ، وقد أوجزها الدكتور محمد شومان بما يلي : [1]

آـ أن عولمة الإعلام هي عملية متسارعة التغير ، وبالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد ، فهي تمرُّ بمرحلة انتقالية ، وذلك لسببين :

الأول : أن عولمة الإعلام تعتبر أحد أبعاد عملية أوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة ، ونظراً لعدم استقرار أو تبلور عملية العولمة ، فإن هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية والسياسة والثقافية التي تحدد مسار تطور ـ بل ومستقبل ـ عملية عولمة الإعلام .

---

(١) للتوسع يراجع مقال : عولمة الإعلام والهوية الثقافية ، والمنشور في كتاب ندوة العولمة الصادر عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ـ ليبيا : ٨٢ـ٨٨ .

أي : إن النجاح في عولمة الإعلام يدعم من فرص نجاح عولمة الاقتصاد والثقافة والسياسة ، وبالمثل فإن نجاح عولمة الاقتصاد يدعم من عولمة الإعلام والثقافة السياسية ، والعكس صحيح .

ب ـ الترابط والتكامل بين مجالات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال ومجمع المعلومات بحيث أصبح من الصعب تعريف الإعلام ، أو الاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية ، فالثورة في تكنولوجيا الاتصال أوجدت وسائل جديدة في الاتصال مثل البث التلفزيوني الفضائي ، والتكنولوجية الرقمية التي وفَّرت إمكانيات هائلة لاستقبال الصوت والصورة بدقة ونقاء غير مسبوقين ، وكذلك وسائل الإعلام المرئية التفاعلية ، والفيديو تحت الطلب ، والصحافة الالكترونية عبر شبكة الانترنيت ، ووسائل الاتصال المحمولة ، علاوة على التطبيقات المختلفة للوسائط المتعددة ، وقد ارتبطت هذه الوسائل والتطبيقات بالمعلوماتية وبداية الدخول في مجتمع المعلوماتية الذي لم تتبلور معامله بعد .

كل هذا أدى إلى اختيارات وتحديات هائلة أمام الأفراد والمجتمعات ، ففي العالم اليوم (٢٦) مليار جهاز تلفزيوني :

منها (٢٠٠) مليون كابلية ، وحوالي (٦٠) مليون مرتبطة بمجموعة رقمية ، و(٦٩٠) مليون مشترك بشبكات الهاتف ، وهناك حوالي (٢٠٠) مليون جهاز حاسوب : منها (٣٠) مليون مرتبط بالأنترنيت ، ويقدَّر أنه بحلول عام ٢٠٠١م سوف تتجاوز قوة شبكة الأنترنيت شبكة الهاتف العالمية!!

ج ـ النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات .

وقد أفضى هذا النمو إلى مزيدٍ من التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة

الاقتصاد ، فأصبحت عولمة الإعلام جزءاً أصيلاً من عولمة الاقتصاد ، وذلك بالنظر إلى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والأسواق العالمية .

من هنا فإن أحد أبعاد عولمة الإعلام هو تعظيم الأرباح للشركات متعددة الجنسية التي تعمل في مجالات إنتاج وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات وإنتاج المضامين الإعلامية المختلفة ، فضلاً عن صناعات الإعلام والترويج وبيع خدمات الإعلام والمعلومات .

د ـ توسيع الخيارات والبدائل الإعلامية أمام الجمهور ، فقد وفَّرت تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية وبصورة غير مسبوقة مئات القنوات التلفزيونية ، ومئات المحطات الإذاعية ، وعشرات الصحف والمجلات المحلية والدولية ، فضلاً عما توفره من وسائل الاتصال الأحدث والمرتبطة بالمعلوماتية .

كل هذا كان لصالح المزيد من الأرباح والهيمنة الأمريكية ، وذلك بحكم استحواذها على النصيب الأكبر من الإنتاج العالمي ، وأثبتت الإحصائيات أن صناعة السينما الأمريكية جنت خارج أمريكا عام ١٩٩٥م مبلغاً وصل إلى المبلغ نفسه الذي حققته داخل أمريكا ، أي نحو (٢٫٥) بليون دولار!!

هـ ـ تقليص دور الحكومات والمنظمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام والاتصالات المحلية والدولية ، لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية .

وفي هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مهام خصخصة وسائل الإعلام والاتصال ، وإنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام .

لكن المشكلة المنطوية وراء دعوة أمريكا إلى خصخصة وسائل

الإعلام ، وإنشاء مجتمع معلومات عالمي ، سيؤدي إلى تهميش دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المعنية بالاتصال ، وبالتالي لا يمانع من نشر الأخبار الكاذبة ، والدعاية المغرضة ، وهذا يعني عدم الالتزام بالقيم الأخلاقية و. . . !!

لكن أهم الإشكاليات التي تثيرها عملية عولمة الإعلام هي :

١ـ مستقبل علم الإعلام أو الاتصال :

بعد الثورة التكنولوجية والتحولات السياسية والاقتصادية طُرح سؤال :

هل نطور النماذج الأساسية القائمة ، أم نُبدع نماذج جديدة ؟

وهكذا كان في مجالات الإعلام ، بل كان من المفروض مضاعفته في مجالات الإعلام ، حتى كانت هذه الثورة الهائلة في مجالات الاتصالات والإعلام عامةً ، وهذا ما يجعلنا أمام مستقبل مجهول لعلم الإعلام والاتصالات!!

٢ـ التأثير الإعلامي ، والثقافة :

هناك من يرى أن الإعلام له دورٌ ضئيلٌ على الثقافة ، بينما يرى آخرون أن للإعلام دوراً كبيراً في توحيد وتنميط الثقافة ، ولكلٌ وجهة يدافع عنها ويقدِّم التبريرات والحجج .

لكن حقيقةً أن هذا الأمر خلق إشكاليةً كبيرةً ، مازالت موضع جدل :

وهي هل للإعلام دور وتأثير في مجالات الثقافة ؟!

فكلما كثرت الخيارات أمام المثقف استطاع الانتقاء وبشكل أفضل ، واستطاع أن يتحرر من قيود الوسائل الإعلامية المبرمجة لصالح فئة أو

سلطة ما ، لكن من جانب آخر قد تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية ، وعدواناً سافراً لمبدأ احترام الهويات الثقافية للشعوب المختلفة ، إذا عجزت الثقافات المختلفة عن استخدام تكنولوجيا الاتصال في تأكيد هويتها الثقافية والتفاعل بروح إيجابية مع حقائق وأوضاع عولمة الإعلام .

٣ـ عولمة الإعلام والمساواة :

إن دخول التطبيقات الحديثة للإعلام والاتصال والمعلوماتية ، والمشاركة فيها ، على المجتمعات الفقيرة والمتخلفة ـ مثلاً العالم الثالث ـ أدَّت إلى خلق تشوهات وانقسامات جديدة تضاف إلى رصيد الانقسامات والصراعات داخل هذه المجتمعات ، حيث اقتصر استخدام التطبيقات الحديثة للإعلام والاتصال والمعلوماتية على بعض أفراد وجماعات النخب في تلك المجتمعات!!

بينما غالبية المواطنين محرومون وغير قادرين على استخدام أو الاستفادة من هذه التطبيقات ، وقد أثبتت الإحصائيات أن أجهزة الهاتف في (طوكيو) وحدها تفوق أعداد الهاتف في إفريقية!!

٤ـ عولمة الإعلام وحرية الإعلام :

المشكلة أن الذين يمتلكون وسائل الإعلام في ظل هذه العولمة المعاصرة هم أصحاب رؤوس الأموال ـ المليارديرات ـ فما هو دور الصحفي أو الكاتب العادي في هذه المعمعة الإعلامية ؟!

إنها الشركات الاحتكارية العملاقة وهي التي تملك كل ذلك ، والمخيف أن يتحول الإعلام العملاق من الدفاع عن مصالح المواطن ، إلى أبواقٍ دعائية للشركات الاحتكارية متعددة الجنسية .

وبالتالي سيزيد الإنفاق على الإعلانات وأنشطة البيع والترويج ، وسيكون هذا الإعلان والترويج معولماً ـ أي متعدد الجنسيات ـ .

وهذا كله يؤدي إلى مزيدٍ من انعدام حرية الإعلام و. . . .

أمام كل هذا لابد من الاعتراف بأننا على أبواب هجمة شرسة ، إعلامية وغير إعلامية .

ولا بد لنا من التسلح بأسلحة شتى أهمها الوعي ، والاستفادة من تجارب الآخرين ، والتوجه إلى الانتقاء والاصطفاء ، ومحاولة مواكبة العصر بما يناسب قيمنا وأخلاقنا وعروبتنا وإسلامنا .

وإلا تحوَّلنا إلى شعبٍ استهلاكي لا وزنَ له ولا يُحسب له أي حساب ! ![1] .

* * *

فما هي العلاقة بين مقولة الشرق أوسطية وبين العولمة ؟[2] .

ثمة علاقة جدلية ما بين مقولات النظام العالمي الجديد والنظام الإقليمي الشرق أوسطي والعولمة الشاملة باعتبارها وجوهاً متماثلة ومتكاملة لعملة واحدة غايتها إعادة ترتيب الخارطة الكونية وفق الاستراتيجية الأمريكية ، ومن يدور في فلكها ـ الدول الصناعية الكبرى ـ والبقاء للأقوى والأصلح وتعميمها في القارات الخمسة والمنطقة العربية على وجه التحديد لما لها من مكانة رئيسة في مقولة الشرق أوسطية ، من هنا يمكن تناول هذه المقولة من عدة مناقب أساسية :

---

(١) للتوسع يراجع : العولمة أم عالمية الشريعة الإسلامية ؟! للمؤلف : ٢٠ـ٢٥ .

(٢) العولمة ، عبدالله أبو راشد ـ مصدر سابق ـ : ٦٣ـ٧٠ .

ا ـ دلالات المفهوم وخلفياته :

الشرق أوسطية مقولة استعمارية ـ استيطانية ـ استبدالية لحقائق التاريخ تستهدف هوية المنطقة العربية وعروبة فلسطين ، وتدعو لربط الدول العربية في عجلة التسويات الامبريالية المعاصرة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وهي المولود (القيصري) لمشروع النظام العالمي الجديد ، من خلال اعتبار الكيان الصهيوني أحد الأدوات الفاعلة وتهيئة الأجواء دولياً وعربياً ، لإقامة حلف استراتجي وقاعدة انطلاق أساسية للعولمة الأمريكية في مواجهة الاحتمالية المتوقعة في أوربا وآسيا وإفريقيا من متغيرات طارئة تخرج عن حدود السيطرة الأمريكية ، ويعود هذا المفهوم الجديد القديم إلى أحلام (هرتزل) التي تمخضت عن مؤتمر بال ١٨٩٧م بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ومباركة شاملة من الاستعمار القديم ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ والمتجلية في مؤتمر (كامبل بزمان) عام ١٩٠٥ـ١٩٠٧ وسايكس بيكو ١٩١٦ ، ووعد بلفور ١٩١٧م .

مروراً بالامبريالية الأمريكية في عهد إدارة ترومان (سد الفراغ) وإقامة حاجز بشري يكون رادعاً استراتيجياً لأية وحدة عربية ، وإبقاء المنطقة في واقع التخلف وقاعدة أساسية من قواعد الامبريالية المتقدمة ، وقد اتخذ هذا المفهوم بعد انتهاء الحرب الباردة واندحار الاتحاد السوفياتي ومنظومة الدول الاشتراكية وحرب الخليج الثانية ١٩٩٠م على وجه التحديد مجالاً حيوياً لإحيائه والعمل الميداني في آلية تنفيذه .

وقد سبق أن قدمت مجموعة من الأفكار للكونغرس الأمريكي تحت عنوان (التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط) قائمة على أساس إدخال الكيان الصهيوني في المجال الحيوي للسياسة الشرق أوسطية وتهيئة الأجواء للاعتراف العربي الشامل به كجزء لا يتجزأ من تراث المنطقة من

خلال تطوير قنوات التعاون في مجالات العلوم التكنولوجية وإقامة شبكة من وسائط الاتصال الحديثة والربط الإقليمي لدول المنطقة ، وبالتالي إقامة مشاريع اقتصادية تنموية للاستثمار الأفضل للمياه والطاقة وفتح أسواق استهلاكية ، وهذا التوجه عبَّر عنه صراحة (روبرت ماكفرلين) مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بقوله : (يجب أن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي على أساس أن السلام في الشرق الأوسط هو مصلحة عالمية ، وأنه يجب تأمين تكاليف هذا المخطط عالمياً ، فاليابان وأوروبا الغربية التي تتزود من نفط الشرق الأوسط لها مصلحة خاصة ، وبالتالي واجب الإسهام والسعي الجدي لتحقيق السلام في هذه المنطقة المتفجرة تاريخياً) .

وفي الجانب الصهيوني ارتبط مفهوم الشرق أوسطية باسم (شمعون بيريز) والتي وجدت في اتفاقيات أوسلو ووادي عربة وقمة الدار البيضاء وعمَّان حجر الأساس لتنفيذها ، حيث سبق وقدمها (بيريز) أما مجموعة من المثقفين المصريين في القاهرة ١٩٩٢ وأعاد طرحها في كتابه ١٩٩٣ تحت اسم (الشرق الأوسط الجديد) ، والذي يدعو فيه إلى نسيان الماضي والحروب ووضع حدٍّ للصراع العربي ـ الصهيوني وبناء شرق أوسط جديد متجانس وروحية العولمة ومنفذ لبرنامجيتها بقيادة صهيونية .

وأما المرتكزات لذلك فكانت الاتفاقيات ـ كامب ديفيد وأوسلو ، ووادي عربة ـ وأما الأدوات فهي الكيان الصهيوني .

ب ـ الدور القيادي للولايات المتحدة في الشرق أوسطية :

بداهة ندرك بأن الكيان الصهيوني هو أحد المرتكزات الأساسية في السياسة الشرق أوسطية ويحتل المكانة الرئيسة في سلَّم أولويات الاستراتيجية الأمريكية كعنصر فاعل وتابع وأحياناً كشريك ، لأن وجوده

يمثل تحدياً حضارياً استعمارياً ـ استيطانياً ونموذجاً مطابقاً للسياسة الأمريكية وأحد فروعها ، وكما يتصورها دعاتها أنها واحة الديمقراطية في صحراء العرب ، وامتداداً غريباً في جسد المنطقة في عملية استيطان نادرة ترى في المهاجرين الأوربيين الأوائل للقارة الأمريكية وطرد سكانها الأصليين والهنود الحمر ، واستئصالهم وتدجينهم مثالاً راقياً للمحاكاة ، وفي هذا السياق نرى الرئيس الأمريكي (جون كنيدي) في كتابه (استراتيجية السلام) عام ١٩٦٠م تكريساً لأهمية الدور القيادي للولايات المتحدة والوظيفي للكيان الصهيوني بقوله :

(إن هناك سبع حقائق تعطي منطقة الشرق الأوسط وضعاً مميزاً ، وأهمية خاصة ، هذه الحقائق هي على التوالي : الأهمية الاستراتيجية للمنطقة التي تسكنها ملايين غير منحازة ، البترول ، التسلل الشيوعي ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبروز القومية العربية ، ثورة المنطقة ضد الاستعمار الغربي وبروز مصر كزعيمة للعالم العربي ، وأن الحقيقة الأخيرة هي أن طبيعة الشرق الأوسط سيحددها في الأجيال القادمة عامل لم يكن موجوداً من قبل هو دولة إسرائيل) .

وتعبر إدارة الرئيس (جيمي كارتر) نقطة تحول رئيسة في السياسة الخارجية الأمريكية وخطوة أولى ارتكازية باتجاه العولمة ، وتجاوز السياسات التقليدية للتيارات الحاكمة (الإقليمية ـ العالمية) ، وهذا التحول يستهدف آلية التعامل الأمريكي مع المنطقة العربية ومسألة الصراع العربي ـ الصهيوني وفق منهجية (الخطوة خطوة) أو عبر أساليب المقايضة والابتزاز السياسي عقب حرب حزيران ١٩٦٧ (الانسحاب مقابل الاعتراف) وتجاوز مشروع روجرز ١٩٦٩ ، والقرار (٢٤٢) والتي كانت قبل (كارتر) من أهم الركائز في السياسة الأمريكية الشرق

أوسطية ، ويتجلى التصور الأمريكي لإنها الصراع والدخول في التسوية في عهد (كارتر) في :

١ـ إقامة سلام تام وعلاقات طبيعية كاملة بين الفريقين تضخم فيما تضمه الاعتراف القانوني والدبلوماسي وتبادل التمثيل والحدود المفتوحة ، وحرية التبادل التجاري والثقافي والإنساني .

٢ـ تحديد الحدود الآمنة والمعترف بها (العنصر الإقليمي) أن الانسحاب الصهيوني من أراض محتلة بعد ١٩٦٧م .

٣ـ تسوية القضية الفلسطينية كجزء من التسوية الشاملة .

والجدير بالذكر أن عصر الانفتاح على الآخر الصهيوني بدأت عجلتها في ظل إدارة الرئيس (كارتر) كحلقة أولى مفصلية عبر بوابات اتفاقيات كامب ديفيد ، والتي جاءت كمدخل أساسي لعبور المنطقة العربية في التسويات والعصر الأمريكي ، لاسيما بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م ، لأن الولايات المتحدة تدرك منذ كارتر وحتى كلينتون أهمية التسوية وإنهاء الصراع في المنطقة ولمواجهة تحديات كبرى احتمالية من الولايات المتحدة الأوروبية الناهضة بزعامة خفية من ألمانيا الموحدة ، واليابان المخترقة لماكينة السوق التجاري العالمي في ميادين الألكترونيات وتجارة السيارات ، والصين بعد رحيل آخر قياصرة الحكم الماوي ، وغيرها من العوالم الاقتصادية المزاحمة ، وقد استندت استراتحية الولايات المتحدة السياسية بالتعاطي مع القضية الفلسطينية ضمن الثوابت التالية :

١ـ الاحتفاظ بإسرائيل كأكبر قوة عسكرية وسياسية في الشرق الأوسط ، لأن في ذلك الضمانة الوحيدة الدائمة للمصالح الإمبريالية في المنطقة .

٢ـ نزع صاعق اللغم المتفجر (المشكلة الفلسطينية) بإيجاد حل ضمن

إطار مقبول ، كدمج الفلسطينيين بالكيان الأردني ، أو تذويبهم في الدول العربية لتجنب الكيان الصهيوني أزمة اجتماعية وسياسية مستقبلية .

٣ـ جر منظمة التحرير الفلسطينية إلى طاولة المفاوضات مباشرة أو مداورة بعيداً عن حرب التحرير الشعبية ، حيث تختنق السمكة بعيداً عن الماء ، وتتمكن الأنظمة (المعتدلة) من تلبية شروط المفاوضات .

٤ـ حماية المصالح الأمريكية الحيوية السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفطية ومواجهة النفوذ السوفياتي بالدرجة الأولى ، وهي مستعدة لخوض عشرات الحروب من أجل الحفاظ على هذا المورد الحيوي ، وقد ساهمت الدينامية القيادية للولايات المتحدة الأمريكية في إحداث تحولات إقليمية ودولية كبرى منذ ثمانينات القرن العشرين لاسيما في عهد (ريغان) واستراتيجية الروح الاستراتيجي بالقوة العسكرية المباشرة وتعزيز التحالفات العسكرية وتوقيع اتفاقية التفاهم الاستراتجي الأمريكي ـ الصهيوني لخطة عملية فاعلة في تنفيذ المشروع الإقليمي الشرق أوسطي ، والذي تمخض عنه محاولة ضم الجولان ، والاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢م .

ولقد وضعت الإدارة الأمريكية في عهد (بوش) المصلحة الأمريكية أولاً وأخيراً ، وتناغمت مع مقولة روزفلت (إن قدرَنا هو أمركة العالم) في صياغة أمريكية معاصرة تحت مفهوم (النظام العالمي الجديد) ، مقسمة المجال لإقامة نظام إقليمي شرق أوسطي وفق المقاييس الأمريكية ، وهذا ما عبَّر عنه بوضوح (ريتشارد مورفي) بقوله : (لاينبغي على إسرائيل أن تدرك أنها ليست الدولة الوحيدة التي لها مصالح في الشرق الأوسط ، وهذا ما تحاول أن تفعله إدارة (بوش) ، لقد أدبرت الأيام التي كانت فيها إسرائيل تأخذ المال وترسم في الوقت

نفسه سياسة أمريكا الإقليمية في الشرق الأوسط) .

وقد دفعها هذا التوجه لخوض الصراع في منطقة الخليج العربي وحسم مسألة الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ ، وتأكيد مساعي السلام في المنطقة حسبما أوردته صحيفة (نيويورك تايمز) عقبها ومتجهة إلى الكيان الصهيوني : (إننا لا نريد أن نستعمل مساعداتنا في طريقة من شأنها أن تطيح بعملية السلام ، فالسلام هو الفرصة لبناء إسرائيل أفضل وأكثر أمناً وازدهاراً ، وهذا هو جوهر الموقف الأمريكي لإنقاذ إسرائيل رغم أنفها) .

هذه المجاهرة السياسية للإدارة الأمريكية والتي تحفظ لها هيبتها كقوة عظمى في ثلاث منابر ، أنها معنية بالنفط العربي ، كحليف ثابت للكيان الصهيوني ، وكقوة عالمية كبرى معنية بمصير كل منطقة من مناطق العالم ، وهذا ما قطفت ثماره إدارة الرئيس (كلينتون) في ولايتيه ، من إحياء لمقولات أمريكية والعمل الجاد بفاعلية ميدانية لبلورتها عبر بوابات خلق النظام الإقليمي الشرق أوسطي ، والنظام العالمي الجديد ، دخولاً موفقاً للعولمة الأمريكية ، أي أمركة العالم في رياح القرن القادم .

* * *

ذات يوم كتب (صمويل هنتجون) في مجلة شؤون خارجية مقالاً تحت عنوان : (الغرب : متفرّد وليس عالمياً) جاء فيه :

(إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب ، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية ، وشاهدت الأفلام الأمريكية ، واستمعت إلى الموسيقا الغربية ، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد ، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية ،

والأصول اللاتينية للغات شعوبها ، والفصل بين الدين والدولة ، وسيادة القانون ، والتعددية في ظل المجتمع المدني ، والهياكل النيابية ، والحرية الفردية . . .) .

(. . . وإن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية ، بل العكس ، يودِّيان إلى مزيدٍ من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب ، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة ، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيوتها في مواجهة حضارات العالم ، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي) .

وهذا كلام حق .

حيث إن غاية خلق الإنسان على هذه الأرض هي الخلافة ، والتي تعني : النيابة عن الخالق سبحانه وتعالى ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقبل هذه الآية مباشرة ترد آية أخرى تبين محل الحضارة ، قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وهكذا تكتمل حلقات الفعل الحضاري : طبيعة ﴿مافي الأرض جميعاً﴾ على الإنسان ﴿الخليفة﴾ ليكون الإبداع والخلق . . .

لذلك فلكل مجموعة من الأفراد (شعب) خصوصياته : الثقافية

وغيرها ، أما العولمة فهي التي تطمح إلى صياغة ثقافية كونية شاملة ، تركز على الحرية السياسية والتعددية الفكرية ، واحترام حقوق الإنسان ، وإقامة المجتمع المدني . . . ، كل ذلك بعيداً عن الأديان وخصوصيات الشعوب والذي زاد في إنجاح العولمة ـ كما سبق القول منا ـ الثورة الاتصالية القوية ، كقنوات الفضائيات ونحو ذلك .

لكن ما يخيف بعض المفكرين أن العولمة المعاصرة ليست إلا ما يصدِّره الغرب القوي ـ بكل الجوانب ـ إلى المجتمعات الأخرى ، كالعالم الثالث ، أي تصدير ما يريده الغرب ، حتى لو كان مخرِّبا للأخلاقيات ، أو مدمِّراً للسلوكيات ، أو مهدِّماً للخصوصيات . . . ، وبالتالي فهذا هو الغزو الثقافي حقيقةً ! !

لكن وما دام الإسلام الذي نعتنقه عالمياً ، أي يناسب الجميع ، فهل تُخيفنا مسائل العولمة ، وخاصة الثقافية ، سواءً على خصوصياتنا أو غير ذلك ؟ !

أو ننسى أن دمشق والقاهرة وبغداد كانت يوماً ما عواصم الثقافة العالمية ؟ أو ننسى أن لغتنا العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ كانت يوماً هي أكثر اللغات عالمية وانتشاراً ؟

أو ننسى أن كبار العلماء والمثقفين في أوروبا ، كانوا يتفاخرون يوماً ما بأنهم تخرجوا من معاهدنا وجامعاتنا .

أجل !

كنا يوماً ما نصدِّر العولمة ـ بكل أشكالها ـ إلى كل أنحاء العالم ، وذلك يوم كان أميرنا يخاطب السحابة قائلاً : أمطري أو لا تمطري ، فأنّا أمطرتِ فسيأتيني خراجك بإذن الله تعالى ![1] .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة ، للمؤلف : ٦٤٤ـ٦٦١ .

إذن : هل نهاب اليوم من نتائج العولمة الثقافية وغير ذلك ؟

أبداً ، فنحن أمة لنا خصوصياتنا ، ونحن الذين نملك كل الوسائل والمرتكزات الثقافية ، فالقرآن الخالد المعجز ، وسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، والتراث الفقهي الذي لا مثيل له في العالم. . . كل ذلك حصون منيعة أمام كل أنواع الغزو. . .

لكن أين. . . أين المتمسكون بالمشروع الثقافي العربي الإسلامي ؟!

وما هي المعوِّقات أمام تمسك الناس بثقافاتنا ، ولماذا لا تنتشر كما كانت في يومٍ من الأيام ـ أيام الازدهار ـ ؟

هناك عدد كبير من المعوقات ، لكن أحب التأكيد على نقطتين اثنتين ، هما :

الأول : أنه في بداية عصور الانحطاط لهذه الأمة ، راح التلاميذ ـ طلاب العلم الشرعي ـ يقدّسون أقوال المشايخ ، وخاصة علماء كل مذهب ، حتى تحوّل الأمر إلى تقديس الأقوال ، بل زاد الطين بلّة أن بعضهم وضعوا أقوال المشايخ إلى جانب النصوص المقدسة!!

بل زادت العصبية عند بعضهم أن جعلوا أقوال المشايخ حاكمة على نصوص القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ!!

علماً أنه لا معصوم بعد المعصوم الأعظم ﷺ ، وكلٌّ يُؤخذ منه ويُردُّ عليه إلا صاحب القبّة الخضراء صلوات الله عليه .

مصداق ذلك التعصب المقيت جواب الإمام الحنفي الكرخي ، وذلك عندما سُئل عن الناسخ والمنسوخ في القرآن ، فكان جوابه ، كل آية تخالف أقوال علماء مذهبنا فهي منسوخة!!!

علماً أن أئمة المذاهب هم الذين طالبوا الناس أن يعتبروا أقوالهم

ليست إلا اجتهادات بشرية ، قابلة للخطأ والصح (فإذا وجدتم في كلامي ما يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط) .

. . . وهذا التعصب المقيت . . . وهذا التقديس لأقوال البشر جمّد كل أبواب الاجتهاد وأغلقها ، حتى أصبحت العلوم كمن يدور في حلقة مفرغة . . . أو كمن يعيش في طاحونةٍ لا تطحن إلا الهواء ! ! .

الثاني : فتح باب صبغ الأمور الدنيوية بصبغة الدين : وهذه طامة كبرى ابتليت بها هذه الأمة .

ذلكم لأن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرَّمه نص ثابت القطعية والدلالة ، وبالتالي فالتحريم والتقييد هما شذوذ القاعدة .

وهكذا فهم الرعيل الأول من هذه الأمة أن الله تعالى أكمل الدين فقط ، ولم يكمل أمور الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وكان ذلك في حجة الوداع ـ أي قبيل انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ـ وهذا يعني أن الأحكام القطعية قد كملت وتمت ، أما أمور الدنيا فلم تُغلق ولن تُكتمل حتى تقوم القيامة .

وإلا كان يجب أن يُقال : (اليوم أكملت لكم دينكم ودنياكم) ! !

ولما دار الزمن دورته ، وآل الأمر إلى بعض رجالات الدين ـ الكهنوتية ـ أطلقوا شعاراتٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، ومنها (الإسلام دين ودنيا) وفسَّروا ذلك بأن رجالات الدين يفهمون كل تفصيلات أمور الحياة!

فتجمَّد الاجتهاد وأُغلقت أبوابه تماماً ، وبالتالي راح الناس يردِّدون ما كان يُقال في القرون الأولى ، حتى في مجالات أمور الدنيا .

علماً أنه لا القرآن ولا النبي ﷺ قالا بأن أمور الدنيا كأمور الدين قد ختمت واكتملت .

وفي حادثة قصة (تأبير النخل) التي رواها الإمام مسلم في الصحيح وغيره ما يوضح الفكرة ، وملخصها :

أن بعض الصحابة استشار الرسول ﷺ في تأبير النخل ، فكان جواب الرسول بالإيجاب .

ويشاء الله أن لا يحمل النخل الذي أبَّره القوم ، ولما قيل للنبي ﷺ عن ذلك ، قال جملةً تدلُّ بكل وضوح عن المنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون ـ في كل مجالات حياتهم ـ قال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

لكن أولئك الفطاحل المتأخرين ، قلبوا المسألة ليقولوا للناس : نحن أعلم بأمور دينكم ودنياكم!!

فماذا كانت النتيجة!!

أضرب مثالاً واحداً عن كيفية تقديس آراء الأشخاص وإغلاق أبواب الاجتهاد ، وتعطيل الفكر حتى لو كان في ذلك مخالفة للنصوص القطعية .

في جريمة الزنا ، وتحت عنوان المرأة المستأجرة ، ورد في الموسوعة الجنائية في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد فتحي بهنسي : (٣/ ٢١٥ـ٢١٦) :

(نجد هنا رأياً خطيراً للإمام أبي حنيفة ، ونعرض الأمر في تفصيل :

إن استأجر الرجل امرأةً ليزني بها فزنى بها ، اختلف الفقهاء في وجوب الحدِّ عليه :

١ـ **قال أبو حنيفة** : إنه لا يجب عليه الحدُّ ، أما لو استأجرها للخدمة فزنى بها يجب عليه الحدُّ ، وحجَّته في ذلك ما روي أن امرأة طلبت من رجلٍ مالاً فأبى أن يعطيها حتى مكنّته من نفسها ، فدرأ عمر ـ رضي الله عنه ـ الحدَّ وقال : هذا مهرها ، لأن الله تعالى سمى المهر أجرة بقوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] .

فصار شبهة ، لأن الشبهة ما يشبه الحقيقة لا الحقيقة ، ألا ترى أنه لو قال : أمهرتك كذا لأزني بك لم يجب الحدُّ ، فكذا إذا قال استأجرتك وخذي هذا لأطأكِ!!

٢ـ **وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي** : يجب عليه الحدُّ لأنه ليس بينهما ملك ولا شبهة فكان زناً محضاً فيحد ، وهذا لأن الاستئجار ليس بطريق الاستباحة الأبضاع شرعاً فكان لغواً ، كما لو استأجرها للطبخ أوالخبز ثم زنى بها ، لأن محل الإجارة المنافع لا الأعيان[1] .

لا نملك إلا أن نردد قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] .

ورحم الله الإمام ابن حزم ، فبعد أن ناقش الحنفية في قولهم مناقشة قاسية ، قال :

إن حدَّ الزنا واجب على المستأجر والمستأجرة ، بل جرمهما أعظم من جرم الزاني والزانية بغير استئجار ، لأنهما زنيا كما زنى غيرهما ، ولا فرق ، وزاد المستأجر والمستأجرة مع الزنا حراماً آخر ، وهو أكل المال بالباطل .

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : المغني لابن قدامه : ١٠/ ١٩٤ ، المهذب للشيرازي : ٢/ ٣٦٨ ، تبيين الحقائق للزيلعي : ٣/ ١٨٤ ، حاشية العلامة الدسوقي على الشرح الكبير : ٤/ ٧٩ ، وغيرهم .

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ : وأما الحنفيون المقلدون لأبي حنيفة في هذا ، فمن عجائب الدنيا ، وأنى لهذا عملاً إذ يرون المهر في الحلال لا يكون إلا عشرة دراهم لا أقل ، ويرون الدرهم فأقل (التمر) مهراً في الحرام ، إلا أن هذا هو التطريق إلى الزنا ، وإباحة الفروج ، وعون لإبليس على تسهيل الكبائر ، وعلى هذا لا يشاء زانٍ ولا زانية ، أن يزنيا علانية إلا فعلا هذا في أمن من الحدِّ ، بأن يعطيها درهماً يستأجرها به للزنا ، فقد علَّموا الفساق الحيلة ! ![1] .

ألا يكفي ذلك دليلاً على كيفية انقلاب الأمور رأساً على عقب ، وبالتالي إلى المآل الذي آل إليه الوضع الثقافي الإسلامي ؟!

إذن :

عندما تعود الأمة العربية والإسلامية إلى ثقافتها الأصلية الصافية ، عندها لا تخاف من عولمة اقتصادية ولا ثقافية ولا تقنية ولا غير ذلك .

فثقافتنا : بكل جوانبها أخلاقية ، مصداق ذلك ما وصف الله به خيرة خلقه محمداً ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وثقافتنا : عالمية ، مصداق ذلك ما خاطب الله به نبيه محمداً ﷺ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وثقافتنا : إنسانية ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وثقافتنا تتصف بالتسامح : وذلك لأن الله تعالى خلق الناس مختلفين ، وحسابهم ينحصر بالله وحده ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨ـ١١٩].

---

(١) للتوسع يراجع : المحلَّى : المسألة (٢٥١) : ١١/١٤٩ .

وقال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] .

وثقافتنا : وسطية ، مصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وثقافتنا تتصف أنها تتكامل مع الثقافات الأخرى ، مصداق ذلك ما ورد في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنةٍ من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وُضِعتْ هذه اللبنة ؟! فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[1] .

لذلك ، فلا مانع من أن يستفيد المسلم من كل ما لدى الآخرين ـ من ثقافات وعلوم ونماذج صناعية وأساليب اقتصاديات ونحو ذلك ـ شريطة أن يخضعها للأمور الشرعية ، مصداق ذلك قول النبي ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها »[2] .

لكن لابد من الفهم الدقيق لكل ما له علاقة بثقافتنا ، وذلك بهدف تمحيص الغث عن الزبد ، وإلا فهل نعتبر من ثقافتنا كل ماورد في الكتب الحشوية أو الماجنة أو الإسرائيليات ؟!

ولابد من الاعتزاز بانتمائنا العربي والإسلامي ، وليس في هذا تعصباً أو تحيزاً أو مجافات للحقيقة ، إنما ذلك اتباعاً للصراط المستقيم الذي

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، رقمه (١٤٧٣) .

(٢) سنن الترمذي : رقمه (٢٦٨٨) .

خطَّه الله في كتابه المحكم بقوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

والرسول ﷺ هو الذي حمل إلى العالمين الدين الحق ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

لذلك عندما فهم الرعيل الأول معنى الاعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين الحنيف ، وقفوا مواقف رائعة جداً .

من ذلك موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام رستم قائد جيوش الفرس وقوله بكل ثقة واعتزاز :

نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام(١) .

ولا عزَّة لنا ولا مجد إلا إذا اعتززنا بذلك حقاً ، لنصل إلى مقصد الشاعر :

أبـي الإسـلامُ لا أبَ لـي سـواهُ إذا افتخـروا بقيـسٍ أو تميـم

وهذا هو المنهج القويم ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله صلوات الله عليه :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ـ١٦٣] .

ولا بدَّ لنا أن ننظر إلى تراثنا نظرة موضوعية ، بحيث نتقبل منه كل

---

(١) للتوسع يراجع : تاريخ الطبري : ٣/ ٥١٧ .

ما يوافق القرآن وما صح عن النبي ﷺ ، وما طابق العلم الحديث المجرَّب .

وأن نغربل التراث من كل الشوائب والإسرائيليات ، وكل الأمور التي عفا عنها الزمان ، فلا هي تفيد ولا هي محل مناقشة ، فلماذا نبقي أبحاثاً مطولة في كتبنا الفقهية عن الرق وأحكامه ـ مثلاً ـ وليس في هذا الزمان رقٌّ أبداً ؟!

إذاً : علينا أن نقرأ التراث قراءة هادئة واعية ، لا قراءة تقديس وتعصب لأنه ليس كلاماً معصوماً أبداً .

حتى كتب التفسير ففيها قضايا لا تقدم ولا تؤخر ، وحسبك أن تنظر في تفسير سورة الكهف لتجد أن تفسير الإمام السيوطي أفرد أكثر من صفحتين وهو يروي لنا روايات عن اسم كلب أهل الكهف!!

وحتى كتب الفقه ، ففيها بعض الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان!

وحتى كتب التصوف ، ففي بعضها شطحات لا تنضبط بضوابط الشريعة ولا العلم!

وحتى كتب الأحاديث النبوية ، ففي بعضها الأحاديث الواهية أو الموضوعة!

وهذه المهمة ـ مهمة قراءة التراث بوعي ـ هي من مسؤوليات من نصَّبهم الله وفرَّغهم للدعوة إلى الله تعالى .

وإلا أيهما أفضل أن نُحدث معارك ثقافية حول قضايا خلافية : أبَوي رسول الله في الجنة أم في النار ؟! عمّ الرسول أبي طالب : أمات على الكفر أم على الإيمان ؟! أيهما أحق بالخلافة : علي أم أبو بكر ؟! و...!!

ما أشبه الليلة بالبارحة :

دخل الأعداء بغداد ، وراحوا يذبِّحون المسلمين ، ويرمون الرؤوس في الآبار ، وعلماء ذلكم الزمان مشغولون بقضايا هامشية لا تقدم ولا تؤخر : كيف يحفُّ المسلم شاربه ؟!

لذلك قال الشاعر المتنبي ساخراً من ذلك كله :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمةً ضحكت من جهلها الأممُ؟!

فأيهما أفضل للأمة : أن يقطعوا أوقاتهم بأمثال هذه الأمور ، أم أن يُمحّصوا تراثهم الثقافي ويغربلوه ، ليميزوا النافع منه من الذي وُضع للتسلية! ؟

وليس في هذا الكلام تهجماً على ما قدَّمه علماؤنا القدامى ، بل على العكس تماماً ، إنه عملية تصفية لكل ما نقله السابقون ، وبالتالي هو خدمة للعلماء القدامى لنخرج مما ألصقه الناس فيهم ـ عبر الأزمنة ـ وهو لم يثبت عنهم ، فنلقيه في سلّة المهملات ، ثم لنصيغ ما قالوه حقاً صياغة عصرية وضاءة .

مع الاهتمام الكبير والتركيز على مسألة الاهتمام بالجوهر لا بالشكليات ، والتركيز على الكليات لا الجزئيات ، والاهتمام بما اتفق عليه لا بالمختلف فيه . . .

ورحم الله الحافظ الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) عندما قال عن شيخه ابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) : شيخ الإسلام حبيبٌ إلينا ، ولكن الحق أحبُّ إلينا منه .

أجل!

عندما نصفِّي تراثنا الثقافي ونقدمه للناس في هذا العصر ، ونحاور من خلاله كل دعات العلمانية والعولمة والأمركة ، معنى ذلك أننا مازجنا بين

التراث وبين النافع من كل ما هو معاصر ، فليس كل قديم مقدس ، وليس كل جديد صحيح ، لذلك لابد من معرفة العصر والواقع ، ولابد من النظر إلى إيجابيات وسلبيات هذا العصر ، ولابد من الانفتاح على كل ما هو مطروح على الناس اليوم ، ولا بأس من الاستفادة من كل التكنولوجيا والعلوم ، ولابد من عدم التشاؤم من الواقع المرّ للأمة ، بل على كل مؤمن أن يردد قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

* * *